ⲘⲎⲦⲢⲞⲠⲞⲖⲒⲤ ⲚⲚⲒⲢⲈⲘⲚⲬⲎⲘⲒ ⲚⲞⲢⲐⲞⲆⲞⲜⲞⲤ ⲚⲦⲈ ⲚⲒⲂⲀⲔⲒ ⲘⲀⲄⲀⲄⲀ ⲚⲈⲘ ⲈⲖⲈⲆⲰⲀ ⲈⲦϦⲈⲚ ⲘⲀⲄⲀⲄⲀ
مطرانية الأقباط الأرثوذكس
لمركزي مغاغه والعدوة - بمغاغه

سكرتارية المطرانية
صادر / ٧٦١
مرفقات / ٧
التاريخ ٦ / ١ / ٢٠١٣

رسالة رعوية ((١ - ٢٠١٣))

قدم لنا مثالاً للتدين الصحيح

مقدمة :

أهنئكم يا إخوتي وأبنائي ، تهنئة قلبية بعيد الميلاد المجيد ، راجياً لكم فيه من الله ولبلادنا مصر وللعالم أجمع ، كل بركة وخير وسلام .

ومع احتفالنا بهذه المناسبة المقدسة ، في هذه الليلة ، نتذكر الحادث الإرهابى الذي تعدى على كنيستنا القبطية بمدينة مصراته الليبية ، في ليلة رأس السنة الميلادية ٢٠١٣م ، وراح ضحيته أمام باب الكنيسة ، اثنان من الشهداء وهما : أشرف سامي عدلي - من محافظة الإسكندرية ، ووجدي ملاك عبده حنا - من مدينة سمالوط - المنيا ، بالإضافة إلى بعض المصابين .

هذا الحادث الإجرامي ، يذكرنا بحادث كنيسة القديسين بالإسكندرية في ليلة رأس السنة الميلادية لعام ٢٠١١م ، والذي راح ضحيته ٢٤ شهيداً وأكثر من ١٠٠ مصاب .

إننا ندين ونستنكر هذا الحادث البشع ، الذى أودى بحياة اثنين من أبنائنا إلى جوار المصابين . ولا يفوتنا أن نقدم التعزية القلبية لأسر الشهيدين ، ونطلب الشفاء العاجل للمصابين .

هذا الحادث ، حدث فى ليلة رأس السنة الميلادية ، وأمام باب الكنيسة ، وبعد الانتهاء من تتميم المراسم الدينية ، ولفئة تؤمن بالإيمان المسيحى ، وتحمل الجنسية المصرية ، وتقيم بدولة شقيقة إقامة مؤقتة ، لأجل تحسين الظروف المعيشية .

فيعد هذا الحادث ، تعدياً على مناسبة رأس السنة ، وعلى المراسم الدينية التي كانت تتم . ويعد هذا الحادث ، تعدياً على دار العبادة الذي هو الكنيسة .

ومع ذلك هذا التعدي ، هو تعدى على الإيمان المسيحى ، لأن كل الذين تم التعدي عليهم ، يؤمنون بهذا الإيمان . كما أن هذا التعدي ، هو تعدي على الحياة والأرواح والحريات ، التي أمر الله بعدم التعرض لها على الإطلاق !!

بالإضافة إلى كل ذلك ، التعدي على هؤلاء هو تعدي على شخص الدولة المصرية ، لأن جميعهم يحملون الجنسية المصرية ، عزاؤنا أن كل هؤلاء ، يحتسبهم الله من الشهداء والمعترفين ، لأجل الإيمان .

أما عن موضوعنا فى هذا العيد ، فهو عن أن المسيح : قدم لنا مثالاً للتدين الصحيح .

بلاشك التدين الصحيح :

١ - يقوم على الإيمان الصحيح المُسَلّم مرة للقديسين ، والعقيدة الصحيحة أيضاً .

فمن هنا يقول القديس يهوذا الرسول : ((أكتب إليكم واعظاً ، أن تجتهدوا لأجل الإيمان المُسَلّم مرة للقديسين)) (يه ٣) .

بالتالي ما دام الإيمان صحيحاً ، والعقيدة مستقيمة ، يترتب عليهما البناء الروحي على صخرة الإيمان والعقيدة المعاشة : ((أيها الأحباء ، ابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس)) (يه ٢٠) .

أما إذا كان الإيمان غير صحيح ، والعقيدة خاطئة . يترتب عليهما تدين خاطئ ، يضر بالمؤمنين به وغير المؤمنين به ، كما أنه يضر بالدين نفسه .

بالتالي التدين الصحيح :

٢ - يقوم على قبول الإيمان بالدين الصحيح ، وذلك بناء على حرية كاملة دون ضغط أو إكراه من أحد .

ولذلك تجدون وقت أن أوصى الرب بالكرازة بالإنجيل للخليقة كلها ، أوصى أيضاً بعدم الضغط أو الإكراه على الناس لقبول الإيمان ، إنما جعله اختيارياً ، ووعد بالخلاص لمن يقبله ، وبالدينونة لمن لا يقبله .

((اذهبوا واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن)) (مر ١٦ : ١٥) .

وهذا الجانب واضح فى موضوع قرية السامرة ، لما رفضت قبول المسيح والإيمان به ، ترك لها الحرية كاملة ومضى إلى قرية أخرى .

بل وأكثر من هذا رفض أن يعاقب القرية ، التى رفضت أن تقبله ، بل انتهر يعقوب ويوحنا اللذين طلبا منه ذلك: « يا رب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم ، كما فعل إيليا أيضاً . فالتفت وانتهرهما ، وقال لستما تعلمان من أي روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك الناس ، بل ليخلص . فمضوا إلى قرية أخرى » (لو ٩ : ٥٤ – ٥٦) .

فواضح من هذا المثل وغيره، أن السيد المسيح حرص على مبدأ مراعاة الحقوق والحريات المشروعة واحترامها، حتى وإن تعارضت مع الإنجيل .

لأن قبول الإيمان، لو تم تحت ضغط وإكراه من أحد، يترتب عليه قبول وقتي للإيمان ، بغير رغبة وإرادة ، وتدين شكلي ، ثم رفضه وتركه بعد ذلك ، جزئياً أو كلياً .

لكن لا يجب أن يخفى علينا جانب هام ، من وراء الدين والتدين وهو :

٣ - الحصول على الأهداف السامية البناءة .

بلاشك الدين الصحيح ، والتدين الفعلي ، لهما أهداف سامية بناءة، ومن بينها: الحياة بكل أنواعها وصورها، والأوضاع الأفضل : « أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة ، وليكون لهم أفضل » (يو ١٠ : ١٠) .

٤ - هناك علاقة بين التدين الصحيح ، والأبوة والبنوة الروحية .

لأنه من خلال الأبوة الروحية ، يتم تسليم الإيمان وتثبيته في الأبناء الروحيين ، وذلك من خلال الحياة المعاشة والإرشاد والتلمذة : « لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح ، لكن ليس آباء كثيرون . لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل . فأطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بي » (١ كو ٤ : ١٥ – ١٦).

إذاً من خلال الحياة المعاشة، والإرشاد والتلمذة على الآباء الروحيين، يتكون التدين الصحيح لدى الأبناء، لأنهم يتمثلون بسيرة وإيمان مرشديهم : « اذكروا مرشديكم ، الذين كلموكم بكلمة الله . انظروا إلى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بإيمانهم » (عب ١٣ : ٧) .

ننتقل من الآباء الروحيين ، ودورهم فى التدين الصحيح إلى :

٥ - كلمة الله ودورها .

قيل عن كلمة الله ودورها في حياة الإنسان ، أنها : « حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين . وخارقة إلى مفرق النفس والروح ، والمفاصل والمخاخ ، ومميزة أفكار القلب ونياته » (عب ٤ : ١٢) .

بالتالي من فاعلية كلمة الله فى حياة الإنسان ، يتغير من إنسان جسدي إلى إنسان روحاني ، ومن إنسان قليل أو عديم الخبرة ، إلى إنسان مختبر ، وقامة روحية كبيرة متدينة .

لذلك التدين الحقيقى ، مرتبط بحفظ وصايا الله ومعرفته : « بهذا نعرف أننا عرفناه ، إن حفظنا وصاياه . من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه ، فهو كاذب وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته ، فحقاً في هذا ، قد تكملت محبة الله فيه » (١ يو ٢ : ٣ – ٥) .

المهم فى وصايا الله أن نعمل بها ، فتصبح فينا روحاً وحياة ، وتجعلنا لا أناساً متدينين ، بل قديسين .

من الملاحظات الهامة ، فى التدين الصحيح :

٦ - إن العمل يسبق التعليم ، لا التعليم يسبق العمل .

يقول الكتاب : « من عمل وعلّم ، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات » (مت ٥ : ١٩) .

طوب الرب الإنسان الذى يعمل قبل أن يعلم ، لأن التعليم يكون قد تفاعل مع الإنسان ، والإنسان تفاعل معه ، وأصبح التعليم سلوكاً وحياة في حياة الإنسان .

بالتالي يكون الإنسان قد أصبح لديه خبرة عن الحياة الروحية ، فلا تكون الحياة الروحية بالنسبة له ، مجرد كلام نظري ، إنما حياة معاشة مليئة بالاختبارات الروحية ، التى تتحدث عن عمل الله مع الإنسان الروحي ، ومع شعب الله ، وكنيسته .

أما إن سبق التعليم العمل ، فلا يعد الموضوع صحيحاً .

لأن الإنسان الذى يعلم قبل أن يعمل ، يكون التعليم بالنسبة له ، لم يتفاعل معه ، وهو كإنسان ، لم يتفاعل معه أيضاً . فلم يصبح التعليم سلوكاً وحياة ، بالنسبة له .

بالتالي يكون الإنسان ليست لديه خبرة ، أو خبرته ضعيفة عن الحياة ، فتكون الحياة الروحية بالنسبة له، مجرد كلام نظري ، لا حياة معاشة مليئة بالاختبارات الروحية ، التي تتحدث عن عمل الله مع الإنسان الروحى ، ومع شعب الله وكنيسته .

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وفي عظة الرب على الجبل :

٧ - أمر بأن تكون أركان العبادة فى المسيحية وقت تتميمها ، بعيدة عن حب الظهور والمناداة لكى تقبل .

فمثال لذلك الصدقة ، أوصى الرب قائلاً : « احترزوا أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس ... فمتى صنعت صدقة ، فلا تصوت قدامك بالبوق ، كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة ، لكي يمجدوا من الناس ، الحق أقول لكم انهم استوفوا أجرهم . أما أنت فمتى صنعت صدقة ، فلا تعرف شمالك ما تفعله يمينك » (مت ٦ : ١ – ٣) .

وعن الصلاة أوصى الرب قائلاً : « متى صليت فلا تكن كالمرائين ، فإنهم يحبون أن يصلوا ، قائمين فى المجامع وفي زوايا الشوارع ، لكى يظهروا للناس ، الحق أقول لكم أنهم استوفوا أجرهم . وأما أنت فمتى صليت ، فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك ، وصل إلى أبيك الذي في الخفاء ، فأبوك الذي في الخفاء ، يجازيك علانية » (مت ٦ : ٦٥) .

وهكذا عن الصوم أوصى قائلاً : « متى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، فإنهم يغيرون وجوههم ، لكي يظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم ، أنهم قد استوفوا أجرهم . أما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائماً ، بل لأبيك الذي في الخفاء ، فأبوك الذي في الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ١٦ – ١٨) .

كل هذه أمثلة من أركان العبادة في المسيحية ، أمر الرب بأن تكون وقت تتميمها ، بعيدة عن حب الظهور والمناداة لكى يقبلها ، وجميعها تعد أمثلة للتدين السليم .

عكس ذلك أصحاب التدين الخاطئ ، كل أعمالهم يؤدونها بقصد حب الظهور والمناداة : « لكى تنظرهم الناس » (مت ٥ : ٥٣) .

حتى وإن كانت هذه الأعمال ، تعد أركان عبادة ، كالصدقة والصلاة والصوم (مت ٦ : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٦) . كلها مرفوضة ولا تقبل ، لأن الهدف منها ليس العبادة ، بل حب الظهور ، والبر الذاتي ، والمناداة بالبوق أمام الناس .

من المعروف روحياً أنه :

٨ - من أسس التدين الصحيح ، التوبة والاعتراف .

لذلك الله : « يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا ، متغاضياً عن أزمنة الجهل » (أع ١٧ : ٣٠) .

لأنه لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ على الإطلاق . بالتالي التوبة محتاج إليها كل إنسان . لأنها تضعه على بداية الطريق الروحي ، الذى يقود للتدين الصحيح .

أما فى حالة عدم التوبة ، أو التوبة المؤقتة ، أو التوبة غير الكاملة ... إلخ يكون تدين الإنسان تديناً شكلياً . وأصحاب هذا النوع من التدين ، لا يمكن أن يستمرون ، لأن تدينهم شكلى أو نظري .

٩ - هناك اختلاف بين التدين الخاطئ ، والتدين الصحيح ، في عمل الرحمة .

أصحاب التدين الخاطئ ، تجدهم لا يصنعون الرحمة مع أحد ، أو يصنعوها بنسبة معينة وإلى وقت معين ، ومن الجائز حسب مفهومهم ، قد يصنعون الرحمة مع الأقرباء لا الغرباء . أو يصنعونها مع أي أحد ، وذلك لأهداف معينة ، ليس القصد منها الرحمة ، إنما القصد أهدافهم وتحقيقها .

أما عن أصحاب التدين الصحيح ، تجدهم يصنعون الرحمة مع كل إنسان ، وبصفة دائمة ، دون تفرقة بين إنسان وآخر ، بحجة إن هذا قريب وذاك غريب .

مثال لذلك السامري الصالح ، الذي وقف مع اليهودي الذي تعرض لحادث تعدي من اللصوص وتركوه بين حي وميت (لو ١٠ : ٣٠) .

وذلك في توقيت تخلى فيه عنه ، بعض أقربائه ، كالكاهن واللاوي (لو ١٠ : ٣١ – ٣٢) .

أما هو فوقف بجواره وضمد جراحاته ، ونقله إلى المستشفى ، ودفع له تكاليف العلاج (لو ١٠ : ٣٣ – ٣٥) .

وهنا سأل المسيح الناموسي : « فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً ، للذي وقع بين اللصوص فقال : الذي صنع الرحمة . فقال له يسوع : اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا » (لو ١٠ : ٣٦ – ٣٧) .

❖❖

١٠ - في التدين الصحيح ، تحب وتسلم ، على من لا يحبك ويسلم عليك ، وتبارك لاعنيك ، وتحسن إلى مبغضيك ، وتصلي لأجل الذين يسيئون إليك ، ويطردونك .

« أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ... لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم ، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك . وإن سلمتم على إخوتكم فقط ، فأي فضل تصنعون ، أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا » (مت ٥ : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧) .

أما عن التدين الخاطئ ، وأصحابه . لا يستطيعون أن يعملوا بكل ما قيل ، بل أيضاً قد لا يستطيعون أن يعملوا بكل ما ذكر مع أحبائهم وأقربائهم وأصدقائهم .

رب المجد أعطانا درساً ، في التدين الحقيقى والتواضع :

١١ - وذلك بقيامه بغسل أرجل تلاميذه ، ومسحها بالمنشفة .

وطالبنا أن نتمثل به ، فمن هنا الكنيسة تتمم اللقان ثلاث مرات فى السنة ، تنفيذاً لوصية الرب وتمثلاً به ، لنوال البركة .

وإليك ما قاله الرب : « فإن كنت أنا السيد والمعلم ، قد غسلت أرجلكم . فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأني أعطيتكم مثالاً ، حتى كما صنعت بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو ١٣ : ١٣ – ١٥) .

الله يا إخوتى وأبنائى ، دائماً في محبته يعطي ويبذل ، لذلك بذل نفسه نيابة عنا على خشبة الصليب .

١٢ - فمن هنا الرسول يطالبنا ، بأن نتمثل بالله فى محبتنا .

لكي تكون محبتنا محبة عملية . لذلك يوصينا : « كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء . كما أحبنا المسيح أيضاً ، وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » (أف ٥ : ١ – ٢) .

يطالبنا الرب ، لكي يكون تديننا تديناً سليماً لا خاطئاً :

١٣ - بأن نبعد عن الشر ، ونصنع الخير ، ونطلب السلام مع الكل .

« لنعرض عن الشر ، ونصنع الخير ، ونطلب السلام ونجد فى أثره » (١ بط ٣ : ١١) .

بل أيضاً طالبنا بأن لا نتمثل بالشر والأشرار ، بل أن نتمثل بالخير والخيرين ، لكي نكون من أبنائه الحقيقيين ونبصره : « لا تتمثلوا بالشر بل بالخير ، لأن من يصنع الخير هو من الله ، ومن يصنع الشر فلم يبصر الله » (٣ يو ١١) .

فواضح من كل وصاياه السابقة ، أنه لم يطالبنا فقط بالبعد عن الشر ، بل أيضاً يطالبنا بفعل الخير على الدوام ، ومع جميع الناس : « لا نفشل في عمل الخير ، لأننا سنحصد في وقته ، إن كنا لا نكل . فإذاً حسبما لنا فرصة ، فلنعمل الخير للجميع ، ولا سيما أهل الإيمان » (غل ٦ : ٩ – ١٠) .

ومع كل ذلك :

١٤ - من سمات التدين الحقيقى السليم ، الاحتمال .

لأن الرب أوصانا بهذا : « احملوا نيرى عليكم ، وتعلموا منى » (مت ١١ : ٢٩) .

ولعله يقصد الرب بالأحمال التي نحملها ، هي حمل الروحيات ، وحمل حروب الشيطان وأعوانه ، وحمل المرض ، حمل المحن والضيقات ، حمل الاحتياج والعوز ، لسد احتياجات الحياة . حمل الخدمة ... إلخ .

في كل هذه الأحمال ، لا نحملها بمفردنا ، بل الله معنا ، هو الحامل لكل هذه الأثقال ، أما نحن وجودنا فيها ، ما هو إلا مجرد صورة للتذكرة فقط .

لذلك إذا احتملنا معه شيئاً من هذا القبيل ، سوف يرفعها عنا ويكافئنا ، « تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين ، والثقيلي الأحمال ، وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) .

وفي موضع آخر يذكر : « خذوا يا إخوتي مثالاً لاحتمال المشقات والأناة ، الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب . ها نحن نطوب الصابرين ، قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب ، لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » (يع ٥ : ١٠ – ١١) .

١٥ - من ثمار التدين الحقيقي القداسة .

وهذه الفضيلة يدعو الرب الجميع إليها : « نظير القدوس الذي دعاكم ، كونوا أنتم أيضاً قديسين ، في كل سيرة » (١ بط ١ : ١٥) .

ولم يكتف الرب بدعوتنا إلى القداسة ، بل أيضاً طالبنا بالاستمرارية فيها ، وتكملتها كفضيلة حتى أواخر حياتنا : « مكملين القداسة في خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) .

حتى يكون لنا نصيب أن نعاين الرب ، ونرث ملكوته : « اتبعوا .... القداسة ، التي بدونها لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٤) .

❖❖

١٦ - التدين غير الكامل ، هو الذي يطبق وصية ، على حساب وصايا أخرى .

مثال الذي يقدم العشور على حساب الحق والرحمة والإيمان .

وأمام هذا الوضع غير الكامل ، وبخ الرب الكتبة والفريسيين قائلاً لهم : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس ، الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغى أن تعملوا هذه ، ولا تتركوا تلك » (مت ٢٣ : ٢٣) .

وبالرغم من أن الكتبة والفريسيين ، قاموا بتطبيق وصية العشور ، إلا أن الرب لم يقبلها منهم ، ووبخهم لأنهم طبقوا هذه الوصية ، على حساب بقية الوصايا ، ومع ذلك طالبهم بتطبيق كل الوصايا ، وهذا واضح من قوله : « كان ينبغى أن تعملوا هذه ، ولا تتركوا تلك » .

وهذا هو التدين السليم الكامل ، القائم على وصايا الله ، وتطبيق جميعها .

١٧ - من الملاحظ على أصحاب التدين الخاطئ ، أنهم يهتمون بنقاوة خارجهم ، دون الالتفات إلى داخلهم .

فالرب لم يقبل هذا الوضع ، لأن هذا الوضع ، يعني التركيز على خارج الإنسان ، مع تعمد وإهمال داخله ، لذلك يوبخ الرب قائلاً : « ويل لكم ... لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة ، وهما من داخل مملوأن اختطافاً ودعارة . أيها الفريسي الأعمى ، نق أولاً داخل الكاس والصحفة ، لكى يكون خارجهما أيضاً نقياً » (مت ٢٣ : ٢٥ ــ ٢٦) .

واضح عن ما ذكره الرب ، أنه لم يكتف بتوبيخ الإنسان عن اهتمامه بخارجه فقط . بل أمره أولاً بنقاوة داخله ، والذي يترتب عليه تلقائياً نقاوة خارجه ، وعلى هذا الوضع الروحي السليم، يتم بنيان التدين الصحيح .

ننتقل لصورة أخرى ، من صور التدين الخاطئ وهي :

١٨ - الاهتمام بالشكل الخارجى لا بالجوهر .

وبسبب هذا الوضع المتدني في الشر والرذيلة ، صَبَّ الرب ويلاته على أصحاب هذا الجانب من البشر : « ويل لكم أيها ... المراؤون ، لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة ، تظهر من خارج جميلة ، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ، ولكنكم من داخل مشحونون رياءاً وإثماً » (مت ٢٣ : ٢٧ ــ ٢٨) .

الشكل هنا مقصود به خارج الإنسان . أما عن الجوهر ، مقصود به داخله وخاصة قلبه . لكن عظام الأموات والنجاسات والرياء والإثم ، مقصود بها الخطايا والشرور والآثام الكثيرة المتنوعة، من جهة النوع، ودرجات الروائح الكريهة ، التى وصلت زروتها إلى الانفجار ، من كثرة تنوعها وروائحها الكريهة .

أمام هذه الصورة المخيفة ، لا ينصلح وضع أصحابه إلا بالتوبة والاعتراف والرجوع لله ، بالتالى يكون الإنسان هنا بدأ بداية صحيحة ، وذلك بالاهتمام بداخله أي جوهره ، والذي يترتب عليه إصلاح خارجه تلقائياً الواحد بعد الأخر .

١٩ - هناك من يقيم نفسه مراقباً وقاضياً وخصماً وحكماً ، على المجتمع ومؤسساته وأفراده .

في كل العصور ، تجدون البعض من الناس ، يقيمون أنفسهم مراقبين وقضاة ، خصماء وحكام ، على المجتمع ومؤسساته وأفراده ، وكل هذا بصورة غير شرعية ، بالرغم من وجود المراقبين والقضاة والحكام الشرعيين .

وأسأل سؤالاً وهو : هل هؤلاء بشر ، أم لا ملائكة ؟!

فإن كانوا من البشر ، فالبشر ليسوا بمعصومين عن الخطيئة ، بالتالي لهم تعدياتهم وخطاياهم ، فلا يحق لهم أن يدينوا أحداً .

وإن كان من الملائكة ، فالبعض من الملائكة تعدى وسقط فى الخطيئة ، فهذا الجانب لا يحق له أن يدين أحداً .

أما إن كانوا من الجانب الذي حفظ نفسه في البر ولم يتعدى ، فلا يحق له أيضاً أن يدين أحداً من البشر ، لأن الدينونة لله فقط .

ومن هنا جاءت الأوامر الإلهية التي تمنع ذلك ، وتعاقب من لا يسمع : « لا تدينوا لكي لا تدانوا ، لأن بالدينونة التى بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم . لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، اما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها .

أو كيف تقول لاخيك ، دعني أخرج القذى من عينيك ، وها الخشبة في عينيك . يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينيك ، وحينئذ تبصر جيداً ، أن تخرج القذى من عين اخيك » (مت ٧ : ١ – ٥) .
لم يكتف الله بهذه الأوامر الإلهية ، التى تمنع الإدانة وتعاقب من يدين .
بل قدم أمثلة حية لعدم الإدانة ، وأعطى فرصاً للساقطين والضعفاء أن يتوبوا .
مثال لذلك المرأة التي أمسكت فى ذات الفعل (أي الزنا) .
قدمها الكتبة والفريسيون للمسيح ، مطالبين برجمها ، كما أمر موسى قديماً .
إلا أنه رفض ذلك موبخاً إياهم : « من منكم بلا خطية ، فليرمها أولاً بحجر » (يو ٨ : ٧) .
فانصرف المشتكون ضدها ، مبكتين من الرب وضمائرهم .
فسأل المرأة : « أين هم أولئك ... المشتكون عليك ، أما دانك أحد ؟! فقالت لا أحد يا سيد ، فقال لها يسوع : ولا أنا أدينك ، اذهبى ولا تخطئي أيضاً » (يو ٨ : ١٠ – ١١) .
وفي مواضع أخرى كان الرب يدافع عن الخطاة ، ويغفر لهم خطاياهم ، ويقبل عطاياهم ، ويأكل معهم ، ويأتمنهم على مسئوليات خدمية ورعوية ، بعد التأكد من توبتهم .
وفي سياق الحديث عن مساوئ التدين الخاطئ :

٢٠ - أن أصحابه يدينون غيرهم على الأخطاء الصغيرة ، ويبررون لأنفسهم الأخطاء الكبيرة .

وهذا ما نراه واضحاً في حديثه مع الكتبة والفريسيين : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون ... أيها القادة العميان ، الذين يصفون عن البعوضة ، ويبلعون الجمل » (مت ٢٣ : ٢٣ – ٢٤) .
إننا لا ننكر أن الخطأ الصغير ، خطأ . وفى نفس الوقت الخطأ الكبير ، أنه خطأ .
ولكن الخلاف هو ، ليس من حق الغير الإدانة . أما عن أن هناك اختلاف بين الخطئين ، نعم هناك اختلافات ، وترجع الأسباب إلى : نوع الخطأ - وأسباب الخطأ - ومن الذى قام بالخطأ - والتوقيت والمكان الذى يحدث فيه الخطأ - وما ترتب على الخطأ من نتائج .
لأجل كل هذه الجوانب وغيرها ، وبخ الرب الكتبة والفريسيين . وقدم لنا درساً بأن لا ينظر الإنسان لأخطاء غيره ، إن كانت صغيرة ام كبيرة ، بل ينظر ويهتم بأخطاءه وعيوبه ، ويسعى فى كيفية التخلص منها ، وعلاج نتائجها .

٢١ - التفاسير الخاطئة للوصايا الإلهية وأقوال الآباء .

هناك من يفسر تفسيراً خاطئاً للوصايا الإلهية وأقوال الآباء ، والسبب يرجع لعدم الدراسة والتخصص . او لميول معينة ، تتمشى مع معتقدات معينة ، ضد معتقدات أخرى . وهناك تفاسير لأهداف خاطئة . كل هذه التفاسير الخاطئة ، تصب في جانب التدين الخاطئ ، القائم على تفاسير خاطئة .
مثال لذلك الأولوية للقسم بذهب الهيكل ، على القسم بالهيكل نفسه ، وكذلك الأولوية للقسم بالقربان ، على القسم بالمذبح نفسه .
رفض الرب هذه التفاسير الخاطئة ، التى لها أهداف مادية ، ووبخ من قاموا بها ، وقدم التفاسير الصحيحة لهذه الآيات ، والتى من شأنها أن تصب فى جانب التدين الصحيح .
« ويل لكم أيها القادة العميان ، القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ، ومن حلف بذهب الهيكل يلتزم أيها الجهال والعميان ، أيما أعظم الذهب أم الهيكل ، الذى يقدس الذهب . ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ، ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم . أيها الجهال والعميان ، أيما أعظم القربان أم المذبح ، الذي يقدس القربان . فإن من حلف بالمذبح ، فقد حلف به وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل ، فقد حلف به وبالساكن فيه . ومن حلف بالسماء ، فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه » (مت ٢٣ : ١٦ – ٢٢).

٢٢- التدين النظري لا العملي .

هو التدين الذي أقواله و سلوكه ، تتعارض مع أفعاله .
مثال لذلك الكتبه و الفريسيون , الذين تكلم عنهم المسيح أمام اليهود : « كل ما قالوا لكم أن تحفظوه , فأحفظوه وافعلوه . و لكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون » (مت٢٣ : ٣).
فلنبتعد يا إخوتي و أبنائي ،عن هذا التناقض غير اللائق بالدين والمتدينيين . ولتكن أفعالنا صالحه بناءه , متفقة معها أقوالنا و سلوكنا ، لنقدم صورة لائقة بإيماننا المسيحي ، وبنا كأبناء لهذا الإيمان , ليتمجد اسم الله بنا .

❖❖

هناك صورة سيئه للتدين الكاذب ، وهي :

٢٣- هناك البعض يعترفون بمعرفة لله ، وفي نفس الوقت ينكرونـه .

قدم لنا الكتاب أمثلة لهذه المعرفة وهذا الإنكار , فقال أن هناك من يعرف الله ولكن بالعمل الخاطئ ينكره: « يعترفون أنهم يعرفون الله , ولكنهم بالأعمال ينكرونه » (تي١:١٦) .

وفي موضع آخر قال : « لهم صورة التقوى ، ولكنهم منكرون قوتها » (٢تي٣:٥).

ومع ذلك قدم لنا الكتاب نوعاً أخر من الإنكار , وهو إنكار البر , وذلك بالرجوع إلى الخطية ، وكسر الوصية المقدسة : « لأنه كان خيراً لهم ، لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم بعد أن عرفوا , يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم » (٢بط٢:٢١).

أما عن الإنكار الأخطر , فهو الإنكار للإيمان كلياً , أي يترك الإنسان الإيمان المسيحي , ويعتنق إيماناً آخر .

وهذا النوع ، حذر منه الكتاب : « انظروا أيها الإخوة ، أن لا يكون في أحدكم ، قلب شرير بعدم إيمان , في الارتداد عن الله الحي » (عب٣:١٢).

فلنحترس يا إخوتي ، حرصاً على خلاصنا وأبديتنا في نفس الوقت .

٢٤- التدين المتشدد .

هذا النوع يعد نوعاً من أنواع التدين الخاطئ ، نظراً لتشدده .

هناك المتدين المتشدد ، في جهاده الخاص وتداريبه الروحية , من غير مدبر أو مرشد , أو إن كان له مدبر أو مرشد ، لا يستشيره في حياته , وإن أرشده لا يسمع له . وهذا النوع ، يضر بصحته وروحياته وعلاقته بالله .

وهناك المتشدد في خدمته مع المخدومين ، ومع زملائه الخدام ، وقد يرجع هذا إلى طباعه وإلى البيئة التي نشأ فيها ، والعادات والتقاليد التي كانت تحيط به .

وهذا النوع من الخدام ، يعمل مشاكل لنفسه ولزملائه ، وللمخدومين وللخدمة في نفس الوقت .

بالإضافة إلى كل ذلك هناك المتدين المتشدد لدينه وعقيدته . في هذا الجانب نشير إلى ملاحظة وهي : هناك فارق بين المتمسك بإيمانه وعقيدته ، وهذا من حقه . أما عن المتشدد لإيمانه وعقيدته ، أي الذي يطلق عليه المتعصب دينياً . هذا النوع غير مرغوب بين الناس ، وحتى وسط أتباعه ، لأنه يترتب على تعصبه مشاكل له وللآخرين ، ويقدم صورة سيئة لإيمانه وعقيدته .

عن هذا الجانب وأمثاله قال الرب عنهم : « أنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة ، عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم » (مت ٢٣ : ٤) .

لكن من الملاحظ على أصحاب التدين الخاطئ :

٢٥ - محبة المتكأت الأولى في الولائم ، والمجالس الأولى في المجامع ، والتحيات في الأسواق .

أشار الرب إليها ، في حديثه عن الكتبة والفريسيين ، ومن يتشبه بهم قائلاً : « يحبون المتكأت الأولى في الولائم ، والمجالس الأولى في المجامع . والتحيات في الأسواق » (مت ٢٣ : ٦ – ٧) .

بلا شك يا إخوتي ، هناك فارق بين ما تحتم عليه مكانته أو سنه ، في أن يجلس في مقدمة المجالس أو الاحتفالات ، ويقدم له الاحترام والتحية اللائقة . والرب لم يقصد هؤلاء وأمثالهم .

وبين آخر لا مكانة له أو حتى سن ، ويريد أن يجلس في مقدمة المجالس أو الاحتفالات ، ويقدم له الاحترام والتحية ، حباً في الظهور ، بناء على رغبة في الغرور والكبرياء .

بالتالي كان الرب يقصد بأقواله التي سبق ذكرها ، هؤلاء وأمثالهم .

ولعلنا نتذكر ، مع هؤلاء قول الرب : « من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (مت ٢٣ : ١٢).

٢٦ - يحبون الرتب والألقاب .

شتان بين من يتقلد رتبة ولها ألقاب ، بناء على دراسة وتخصص ورتبة ، حصل عليها بطريقة شرعية . وينادون الناس عليه برتبته ولقبه .

أما من يدعى الرتب والألقاب ويسعى إليها ، وهو غير حاصل عليها أو مؤهل لها .

أو من يحصل على هذه الرتب والألقاب بطريقة غير شرعية ، حباً في الرتب والألقاب ، وما يترتب عليها في ما بعد .

لاننسى يا إخوتي أن حب الرتب والألقاب ، تسبب في سقوط البعض من الملائكة في التعدي والعصيان ، وينتظرون حالياً دينونة عظيمة من الله. وهذه المحبة الخاطئة تسببت، في ضياع وهلاك الكثيرين من البشر ، مثال قورح وداثان وأبيرام الذين سعوا إلى الكهنوت ، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم . وهيرودس الملك ، الذي ضربه ملاك الرب ، ومات في الحال ، لأنه لم يعط مجداً لله .

٢٧ - التدين الخاطئ ودوره على التمييز .

من الملاحظ على التدين الخاطئ ، أنه يميز بين فئة وأخرى ، وإنسان وآخر ، بناء على الدين والعقيدة .

والتدين الخاطئ ، يميز بين عرق وآخر ، وجنس وآخر ، ولون وآخر ، كما أنه يميز بين كبير وصغير ، غني وفقير ، متعلم وغير متعلم .

وهناك أمور صعبة ، تترتب على التدين الخاطئ ، وهي عدم قبول الآخر ، ولو حتى في أبسط الحقوق المشروعة ، وهي إبداء الرأي .

بالإضافة إلى الإساءة والبغضة والكراهية والاضطهاد ، الذي يصل لحد الخطف والتعذيب والقتل .

كل هذه التصرفات وأمثالها ، تتم بسبب التدين الخاطئ ، وعدم مراعاة الحقوق المشروعة للآخرين .

ولكن عزاؤنا في أن هناك الله ، الذي ينظر ويعلم بكل شيء ، وسوف يطالب بحق كل إنسان ، مهما طال الوقت .

من الأمور الصعبة ، التى تترتب على التدين الخاطئ ، هي :

٢٨ - تجنيد البعض من الناس ، لصنع المشاكل والأخطاء .

ضد الآخرين لأهداف معينة خاطئة . ويترتب عليها أيضاً ضياع من تم تجنيدهم ، وإعدادهم بسرعة فائقة للهلاك في جهنم .

وهذا ما نجده واضحاً في حديث الرب مع ، الكتبة والفريسيين قديماً : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تطوفون البحر والبر ، لتكسبوا دخيلاً واحداً ، ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم ، أكثر منكم مضاعفاً » (مت ٢٣ : ١٥) .

أخيراً للتدين الخاطئ ، مخاطر على قادته ومعتنقيه ، وهي :

٢٩ - غلق ملكوت السموات أمامهم ، وفتح باب النار الأبدية لهم ، بدلاً منه .

وهذا ما قاله الرب : « ويل لكم ... لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون » (مت ٢٣ : ٢٣) .

وأخيراً يأمر الله بحكمه العادل قائلاً : « اذهبوا عني يا ملا عين إلى النار الأبدية ، المعدة لأبليس وملائكته » (مت ٢٥ : ٤١) .

لكن قبل أن أختم حديثي معكم يا إخوتي ، أحب أن أطمئنكم بأن الله يهدف من الدين والتدين ، الحياة الأفضل للناس مع خلاصهم وأبديتهم .

راجياً من الله في هذا العيد ، البركة والسلام والتقدم والخير ، لكم جميعاً ولبلادنا مصر .

وكل عام وأنتم بخير

تحريراً فى ٦/ ١ / ٢٠١٣ م

بنعمة الله

الأنبا أغاثون

أسقف مغاغه والعِدوه